Received: 10/2/2022 Accepted :12 /3/2022 Published: 14/4/2024

الاسْتفهامُ في شِعْرِ الرِّثاءِ عندَ البُحتريّ: دراسةٌ تركيبيَّة دلاليَّة

م.م.سوزان كامل عبد

dr.suzan.k.a@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية

الملخّص

فكرة هذا البحث تدور حول دراسة جانبٍ تركيبيٍّ من الرِّثاء وبيان دلالاته عند شاعرٍ اشتهر بالمديح والرثاء بالتفجع على الممدوح وتعداد محاسنه ومأثره، ألا وهو البحتريُّ، فجاء العنوان (الاسْتفهامُ في شِعْرِ الرِّثاءِ عندَ البُحتريّ دراسةٌ تركيبيَّة دلاليَّة)، فعمد الباحثُ إلى طريقةٍ في الدراسة تبدأ بالدراسة الإحصائيَّة، ثُمَّ محاولة تحليل هذه الإحصائيَّة، ثمَّ تناول الباحث كلّ أداة من أدوات الاستفهام من حيث التركيب اللغوي للحرف نفسه، والجملة الوارد فيها، وبيان دلالات كلّ منها، ليبين مدى قوة ووضوح معنى غرض الرثاء في شعره، من خلال التركيب النحوي، وعن طريق أدوات الاستفهام، بالربط بين الدراسة التركيبية الدلالية، وقد ركز الشاعر على استعمال الأدوات (الهمزة، وهل، وأين، وأي، وكم، وكيف، وما، ومتى، ومن)، في تسع وخمسين مرة، وقد قسمها بما يناسب معناها وموضعها، فكان الاستعمال الأغلب للهمزة، لأن الشاعر اراد ان تكون قصيدته تساؤلية، انتهاء للاداة الاستفهامية (متى) التي ظهرت في شعره مرة واحدة فقط. وقد اختار الشاعر استعمال أسلوب الاستفهام في شعره ليعطي معنى التصور لحصول الشيء في الذهن.

الكلمات المفتاحيَّة: الاستفهام، شعر الرثاء، الدلالة التركيبية

Interrogative Lament Poetry: Synthetic Semantic Study

Asst. Lect. Suzan Kamel Abed

dr.suzan.k.a@uomustansiriyah.edu.iq

Al-Mustansiriyah University, College of Arts, Department of Arabic Language

Abstract

This research is titled "The Interrogative in the Poetry of Elegy according to Al-Buhturi: A Syntactic-Semantic Study" because the idea behind it is to study the synthetic aspect of lamentation, and explain its connotations according to Al-Buhturi poet who is well-known for praising and lamenting by mourning the praised one and listing his virtues and influences. The researcher uses a method of study that starts with a statistical study and then analyzes these statistics. In order to demonstrate the power and precision of the meaning of the purpose of lamentation in Al-Buhturi's poetry. The researcher then addresses each of the interrogative tools in terms of the linguistic structure of the letter itself, the sentence that is contained in it, and an explanation of the connotations of each of them. The poet concentrates on the use of tools of interrogation and grammatical structure to link the structural-semantic analysis such as (Alhamza, (Hel) whether, (Ayen) where, (Ay) which, (Kem) how (Keif), what (Ma), when*Meta), and who (Maen)), fifty-nine times, and he divides them according to their meaning and position. So, the most common use is Alhamza (Hel), because the poet wants his poem to be interrogative, ending with the interrogative device (when) which appears in his poetry only once. In order to convey the idea of picturing something happening in the mind, the poet opts to employ an interrogative form in his poems.

Keywords: interrogative, lament Poetry, structural Semantics

المقدمة

يُعدُّ البحتريّ (ابن كثير، 1988، صفحة 670/ ج14) من أعلام العصر العباسيّ الأوَّل، فشعرهُ جارٍ على سَنن الأوائل من حيث صحَّة الاستعمال اللغويّ، وجودة السَّبك، واختيار التركيب المناسب للغرض الذي يريد الدلالة عليه، وينتمي الشاعر بحسب التقسيمات

الأدبيَّة إلى العصر العباسيّ الأول، وقد ذكره ابنُ الأثير في الموازنةِ بين أحدى مرثيات المتنبي والبحتري بقوله: "والفتيا عندي بينه وبين البحتري أنَّ أبا الطيب أنفذُ في المضيق، وأعرفُ باستخراج المعنى الدقيق، وأمَّا البحتري فإنَّه أعرفُ بصوغ الألفاظ، وحوك ديباجتها" (ابن الأثير، 1981، صفحة 289/ ج3)، وقال أيضاً: "وسُئل أبو الطَّيِّب المتنبي عنه وعن أبي تمَّام وعن نفسه، فقال: "أنا وأبو تمام حكيمان، والشاعرُ البحتريّ (ابن الأثير، 1981، صفحة 13/ ج1)، ثمَّ عقَّبَ على ذلك بالقول: "ولعمري إنَّه أنصفَ في حُكمِهِ، وأعْربَ بقوله هذا عن متانة علمه؛ فإنَّ أبا عبادة أتى في شعره بالمعنى المقدود من الصَّخرة الصماء، في اللفظ المصوغ من سلاسة الماء، فأدركَ بذلك بُعْدَ المرام، مع قُربه إلى الأفهام، وما أقول إلا أنَّه أتى في معانيه بأخلاطه الغالية، ورقي في ديباجة لفظه إلى الدرجة العالية" (ابن الأثير، 1981، صفحة 13/ ج1).

وقد بحثتُ عن الدراسات عن البحتري فوجدتُ أكثرها دراسات فنية، ومنها دراسات لغوية، فلم أجدْ دراسةً تنفرد بالرِّثاء عند البحتري، لا دراسة فنِّيَّة، ولا لغويَّة دلاليَّة، والظاهر أنَّ مردَّ ذلك اشتهاره بالمديح، فعزمتُ على دراسة جانبٍ تركيبيٍّ من الرِّثاء عنده وبيان دلالاته، فجاء العنوان (الاسْتفهامُ في شِعْرِ الرِّثاءِ عندَ البُحتريّ دراسةٌ تركيبيَّة دلاليَّة)، وقد قسَّمته على مبحثين: المبحث الأوَّل: حرفا الاستفهام، والمبحث الثّاني:أسماء الاستفهام. وكانت طريقتي في الدراسة تبدأ بالدراسة الإحصائيَّة، وقد حاولتُ تحليل هذه الإحصاءات، ثمَّ تناولتُ كلّ أداة من أدوات التركيب من حيث التركيب اللغوي للحرف نفسه والجملة الوارد فيها، وقد واعتمدتُ في تخريج الأبيات على نسخة الديوان التي حقَّقها حسن كامل الصيرفي. والحمدُ للهِ أوّلاً، وآخراً.

التمهيد: تَعريفٌ بالاستفهامِ والرِّثاءِ

أوّلاً: الاستفهامُ: تنبَّهَ اللغويون الأوائل إلى الاستفهام ودلالاته، ووضعوا له تعريفاتٍ عدَّة، قال ابنُ فارس: "الاستخبارُ: طلب خُبْر ما ليس عند المستخبِر، وهو الاستفهامُ" (ابن فارس، 1997، صفحة 134).

وقد صار الاستفهام يُمثِّل أسلوباً مهمّاً من أساليب الإنشاء الطلبيّ عند البلاغيين، وقد عرَّفوه تعريفات مختلفة الألفاظ، متقاربة المعاني، قال العلويُّ: "ومعناهُ طَلَبُ المراد من الغير على جهةِ الاستعلام، فقولنا: طَلَبُ المراد، عامٌّ فيه وفي الأمر، وقولنا: على جهة الاستعلام، يخرج منه الأمر، فإنه طلب المراد على جهة التَّحصيل والإيجاد "(العلويّ، 2002، صفحة 158/ ج3)، ومنهم من اختصرَ مُقتصرًا على المعنى اللغويّ، فقال: "هو طَلَبُ الفهْم" (السبكيّ، 2003، صفحة 423/ ج1)، ومنهم مَنْ عرَّفه تعريفاً يقرب من تعريفات المناطقة، قال السعدُ التفتازانيّ: "وهو طلبُ حصولِ صورة الشَّيء في الذِّهن" (التفتازانيّ، 2013، صفحة 409).

أمَّا المُحدَثون فكان تعريفهم له بقولهم: "وهو طَلَبُ العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصَّة" (عتيق، 2006، صفحة 95)، وقال عبدُ الرحمن الميدانيّ: "والأصل فيه طلَبُ الإفْهامِ والإعْلَامِ؛ لتَحْصِيلِ فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدَى الْمُستَفْهِم" (الميداني، 1996، صفحة 258/ ج1)، فالفائدة في الاستفهام الحقيقي تكون للمخاطِب الذي يَطلب من المُخاطَب إفادته بمضمون الأمر الذي يجهله ويستفهم عنه.

وألفاظ الاستفهام عشرة، تقسم على حروف وأسماء، فالحروف اثنان: الهمزة وهل، والأسماء عشرة: من، وما، وأيّ، وكيف، وأين، وأيّان، ومتى، وأنّى، وكم الاستفهامية، وتقسم بحسب الطلب على ثلاثة أقسام: ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو: الهمزة، وما يطلب به التصديق فقط، وهو: هل، وما يطلب به التصور فقط، وهو بقية ألفاظ الاستفهام (القالي، 1976)، فالاستفهام من حيث الطلب يكون على نوعين: تصديق وتصور، "فإذا كان المستهدف طلب إدراكه وقوع نسبة أو علاقة بين أمرين في الخارج أو عدم وقوعها، فذلك يعني أن الناتج هو التصديق، أما إذا كان المستهدف هو تصور الموضوع أو المحمول أو تصور العلاقة بينهما فهو التصور" (ابن كثير، 1988، صفحة 672/ ج14).

ثانياً: الرِّثاءُ: قال شوقي ضيف في تعريفه: "هو بكاء يتعمَّق في القدم منذ وجد الإنسانُ، ووجد أمامه هذا المصير المحزن مصير الموت والفناء "(ضيف، 2006، صفحة 5)، في حين خلص عبد الله السناني إلى تعريفٍ للرثاء، بقوله: "هو فنٌّ يعبِّر به الأدباءُ عن عواطفهم تجاه ما فقدوه من أهل أو بلدٍ أو مجدٍ أو غير ذلك، تعبيراً يظهر فيه الحزنُ والحسرةُ على ما فقدوه" (السنّانيّ، 2013، صفحة 17)، أمَّا عن تقسيمات الرثاء في عصر البحتري، فقد قال عبد الهادي أبو علي: "وأستطيعُ تقسيم الرِّثاء في العصر العباسي الأول إلى: رثاءٍ سياسيٍّ، ورثاء اجتماعيٍّ" (علي أبو علي، 1990، صفحة 61).

وذكرَ بعض النقاد أنَّ الرِّثاءَ أصدقُ المشاعر؛ لأنَّه لا يعمل رغبة ولا رهبة (القيروانيّ، 1981) .وأنا هنا لا أوافقهم في الرأي؛ لأنَّ الرِّثاء صحيحٌ أنَّه لا يُكتب لمُراءاة الميّت؛ لأنَّه مات، ولكنَّه قد يُكتب رغبةً فيما أيدي أهله.

المبحثُ الأوَّل: حَرفَا الاسْتفهام

الهمزةُ و(هل) هما حَرْفا الاستفهام، فأمَّا الهمزةُ فهي أصلُ أدواتِ الاستفهامِ، وتُعدُّ أمُّ البابِ، قال سيبويه: "وليس للاستفهام في الأصلِ غيُره" (سيبويه، 1988، صفحة 99/ ج1)، ولأصالتها اختُصَّتْ بأمور، منها تمام التصدير في الكلام، وذلك بتقديمها على الفاء والواو وثم (المراديّ، 1992)، وهي حرف مشتركٌ: يدخل على الأسماء والأفعال؛ لطلب تصديق، أو تصوُّر، فأمَّا التَّصديق، فنحو: أزيد قائم؟، ومعنى التَّصديق أنْ تكون الإجابة بنعم، أو لا، وأمَّا مجيؤها للتَّصوُّر، فنحو: أزيد عندك أم عمرو؟ وتساويها (هل) في طلب التصديق الموجب، لا غير، فلا تأتي (هل) للتصوُّر (المراديّ، 1992).

وأمَّا خصائص الهمزة من حيث التركيب اللغوي، فهي (المبرّد، 1987، صفحة 163/ ج1):

1. جوازُ حذفها، إذا أمن اللبس، أو مع وجود (أم) المعادلة، وذلك واردٌ في القرآن الكريم وقراءاته.
2. التقدُّم حروف النَّفي، وحروف العطفِ.
3. دخولها على (إنَّ).
4. إفادتها التَّصوّر والتصديق، خلافاً لباقي أدوات الاستفهام.
5. تُستعمل الهمزة مع لفظ (سواء)، بمعنى التسوية، أو (لست أدري)، كما تأتي للتقرير.
6. إذا دخلت على أَلف وصل سَقَطت أَلف الْوَصْل لأَنَّه لَا أَصل لَهَا وإِنَّمَا أُتي بهَا لسكون مَا بعْدهَا فإِذا كَانَ قبلهَا كَلَام وصل بِهِ إِلى الْحَرْف السَّاكِن سَقَطت الأَلف، وَقد تقدم القَوْل فِي هَذَا إِلاَّ الأَلف الَّتِي مَعَ اللَّام فإِنَّك تبدل مِنْهَا مدّة مَعَ أَلف الِاسْتِفْهَام لأَنَّها مَفْتُوحَة فأَرادوا أَلاَّ يلتبس الِاسْتِفْهَام بالْخبر وَذَلِكَ قَوْلك – إِذا استفهمت – آبْنُ زيد أَنت؟.

أمَّا من النَّاحية الإعرابيَّة فتشتركُ الهمزة و(هل) في كونهما حرفي استفهامٍ لا محلَّ لهما من الإعراب (البياتيّ، 2001).

وقد ورد حرفا الاستفهام في الدّيوان على وفق الإحصائيَّة الآتية:

الحرف	عدد مرَّات استعماله
الهمزة	18 مرَّة
هل	5 مرَّات

ويظهر من هذه الإحصائيَّة أنَّ البحتري قد استعمل الهمزة أكثر من ثلاثة أضعاف استعمال (هل)، وبما أنَّ الغرض الذي ندرسهُ هو الرثاء بالتفجُّع على الممدوح وتعداد محاسنه ومآثره، فإنَّ هذا الاستعمال الكثير للهمزة ليدلُّ على أنَّ الشاعر أراد أنْ يُعطيَ لنفسه مساحةً واسعة من التساؤلات؛ لأنَّ الهمزة تأتي معها أم المعادلة التي تفسح المجال واسعاً أمام التصورات المختلفة، بخلاف (هل) التي تتطلَّب جواباً قطعيّاً بـ(نعم)، أو (لا)، وهذه المساحة التي أعطاها البحتريُّ لنفسه وسَّعت مساحة التساؤلات وصولاً إلى توسيع دائرة ذكر محاسن الممدوح؛ وفاءً له، وتخفيفاً عن المُعزَّى.

الفرعُ الأوَّل: الهمزة

أمَّا التركيب اللغويّ للهمزة فقد كان على النَّحو الآتي:

1- الهمزة + الفعل: وقد تكرَّرت ثماني مرَّاتٍ، ومنها:

1- الهمزة+فعل ماضٍ ناقص: ومنه قول البحتري من قصيدةٍ في رثاء المتوكِّل:

أَكانَ وَلِيُّ العَهدِ أَضمَرَ غَدرَةً فَمِن عَجَبٍ أَن وُلِّيَ العَهدَ غادِرُه

فالمتوكِّل قتلهُ ابنُهُ المنتصر بالله الذي جعلهُ أحدَ ثلاثةٍ من أبنائه لولاية العهد (البياتيّ، 2001)، فالبُحتريُّ يستفهم استفهام المُتحيِّر المتشكِّك، أكان وليّ العهد متصفاً بإضمارِ الغدرِ منذ الزمان الماضي؟!، ولم يستعمل (هل)؛ لأنَّ الفوضى عمَّت آنذاك حول حقيقة مقتل المتوكل، فليست هناك إجابة شافية بـ(نعم)، أو (لا)، فجعلَ الاستفهام متوجهاً نحو الحصول في الماضي مطلقاً، ولعله بذلك يشير إلى أنَّ مثل هذا الأمر العظيم لا يمكن أنْ يخطر على بال الابن فجأة، فلا بدَّ من وجود تخطيط قديم.

ونلحظ أنَّ البحتريّ يتعجَّب في البيت الثاني فيورده بأسلوبٍ بلاغيّ يُسمَّى ردّ العجز على الصَّدر، ونلاحظ فيه تكرار كلمتي (العهد)، و(الغدر)، فموسيقاهما تعلق بالأذهان علوقاً شديداً، فكيف يجتمعُ العهدُ وهو الموثق الغليظ، بالغدر؟!، قال ابن فارس: "الْغَيْنُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَرْكِ الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ الْغَدْرُ: نَقْضُ الْعَهْدِ وَتَرْكُ الْوَفَاءِ بِهِ. يُقَالُ غَدَرَ يَغْدِرُ غَدْرًا. وَيَقُولُونَ فِي الذَّمِّ: يَا غُدَرُ" (ابن فارس، 1979، صفحة 413/ ج4).

2- الهمزة+الفعل المضارع التَّام: ومن مجيء الهمزة مع الفعل المضارع التام، قوله يرثي غلاماً له اسمه قيصر: (البحتري، صفحة 256/1)

أَأَنْسى مَنْ يُذكِّرُنيه ألَّا ندِيدَ ينوبُ عنهُ ولا ضريبُ

فنلحظ أنَّ الاستفهام متوجهٌ نحو الفعل، وهو هنا يدلُّ على النَّفي، بمعنى: لنْ أنسى فأحتاج مَنْ يذكِّرني بأنَّ ذلك الغلام لا شبيهَ له (ابن دريد،1987)، وَالضَّرِيبُ: الْمِثْلُ، كَأَنَّهُمَا ضُرِبَا ضَرْبًا وَاحِدًا وَصِيغَا صِيَاغَةً وَاحِدَة (ابن فارس، 1979)، يعني: ليس هناكَ من يشبهه في بعض الصِّفات، ولا كلّ الصِّفات أو أغلبها، وهذا الذي اتَّصف به ذلك الغلام أمرٌ لا أنساه، فالبحتريُّ هنا يُصوِّرُ شعوره هنا بعد موت المرثيّ، وما كان من شعوره قبل موته (هارون، 1964).

ومثلهُ ما جاء مُركَّباً من: الهمزة+الفعل المضارع التَّام+أم المعادلة، ومنه قوله يرثي أخا الصابوني القاضي: (البحتري، صفحة 2185/4)

أأنساكَ أم أنسى مُصابَكَ بعدما عَلقتُ بحبلٍ من نداكَ متينِ

والاستفهام هنا أيضاً جاء لمعنى النَّفي، ولكن قد أضافت (أم) للبيت مساحة أخرى من التعبير، ففي رثاء غلامه ينفي نسيانه، أمَّا هنا فهو ينفي أمرين معاً بنفسِ الشِّدَّة ونفس القوَّة، أحدهما: نسيانه، والآخر: نسيان مُصابهِ، وهو يعني المصيبة التي أصابته بسبب فقدان المَرثيّ، فكأنَّه يقول: لن تُبارح مصيبة فقدانك عقلي، ولا مرارتها لساني، وإنَّما سُمِّيت (أم) المعادلة بذلك؛ لأنَّ الكلام بوجودها في تركيبه يكون مشتملاً على جملتين متعادلتين متساويتين من ناحية المراد من كل واحدة، أو المقصد الذي يريده القائل في كلٍّ منهما، فكأنَّهما كفتان متساويتان في ميزان واحد، لا ترجح إحداهما على الأخرى، أو أنهما نصفان لشيء واحد؛ فلا بد أن يكونا متساويين (حسن، 1986).

ومن تركيب الاستفهام مجيؤه بأسلوب حذف الأداة، وعند الحذف لا تُقدَّر إلَّا الهمزة؛ لأنَّها أمّ الباب كما تقدَّم. وقد تأتي على وفق التركيب الآتي: أداة محذوفة+فعل ماضٍ، ومنه قوله يرثي أبا سعيد محمد بن يوسف:

عجبتُ لهذا الدَّهرِ أفنى (محمَّداً) وكان الذي يسطو بهِ ويُصاولُ (البحتري، صفحة 1733/3)

وتقدير الكلام: أأفنى محمَّداً؟، والاستفهام خرج هنا لمعنى التَّعجُّب والدَّهشة والتَّحيُّر؛ يدلُّنا عليه ما بعده، وما قبله، فأمَّا ما قبله فقوله: عجبتُ، وأمَّا ما بعدهُ فينطوي على مضمون التعجّب، فكيف الدهر اتخذ محمَّداً فارساً يسطو بهِ على الأعداء والنوائب، وهو نفسه الدهر الذي يُفنيه؟!.

2- الهمزة+الاسم: وقد جاء في صُورٍ عدَّة:

1- الهمزة+اسم الفاعل: قال يرثي الموفق ويمدح أبا العباس المعتضد:

أمُوجِّهي أنتَ إيصاءً وتقدمةً يزكو بها سَببي عند ابن طولونا؟ (البحتري، صفحة 2189/4)

فنلحظُ دخول الهمزة على اسم الفاعل:(مُوَجِّهي)، فقد دلَّ الاستفهامُ هنا على الأمر المجازي بمعنى: أوصِ بي عند ابن طولون، ودلالتهُ التَّوسُّل والاستشفاع، واسم الفاعل في أصل وضعهِ يدلُّ على الحدث والحدوث وفاعله دون الدلالة على الزَّمان، ولكونه اسما فهو يدلُّ على الثبوت والاستمرار دلالةً أقوى من دلالة الاسم، ودون اسم المبالغة (السامرائيّ، 2007)؛ لأنَّه ليس كالفعل المُرتبط بزمنٍ مُعيَّن، فالشَّاعر يريد بهذا أنْ تكون توصيةَ المعتضد توصيةً ثابتة قويَّة، ولو قال: أتوجِّهني، لدلَّ على الحاليَّة؛ لأنَّ الفعل المضارع يدلُّ على الزمن الحاضر، واسم الفاعل في هذا الموضع دال على الحال والاستقبال.

ونلاحظ أنَّ البحتريَّ قد استعمل اسمين آخرين، وهما المصدران (الإيصاء)، مصدر (أوصى) . و(تقدمة) مصدر (قَدَّم)، وهما اسمان يدلان على الثبوت والاستمرار، وحين انتقل إلى تعليل ذلك علَّلهُ بالجملة الفعليَّة التي تدلُّ على الحدوث، فقال: (يزكو)؛ لأنَّه ليست له معرفة بهِ؛ فالتزكية تحصل لتحدث تلك التزكية حدوثاً بعد أنْ كانت غير موجودة.

2- الهمزة+اسم علم: وقال يرثي القاضي أخا الصابوني: (البحتري، صفحة 2184/4)

أألله ترجون البقاءَ وقد جرتْ دماءٌ لنا فيكُمْ قُضيْنَ لِحِيْنِ

حيث أدخل الهمزة على لفظ الجلالة (الله)، وهذا من المواطن التي لمْ يُجِزِ النَّحويون حذف همزة الاستفهام منه؛ مخافة التباس الاستفهام بالخبر، وإنَّما مدّوها، فقالوا (آللهُ)، وأجاز أبو حاتم إثبات الهمزتين (ابن جني، 1985)، والمعنى أاللهُ أخبركم بأنَّكم خالدون؟، والهمزة في مثل هذا الموضع للاستفهام الإنكاري (النحّاس، 2011).

وقد يأتي على وفق التركيب الآلاتي: الهمزة+اسم علم+أم المعادلة، قال البحتريُّ يرثي حميداً الطوسيّ وأولاده: (البحتري، صفحة 1946/3)

أقَبرا أبي نصرٍ وقحطبةٍ هما بحيثُ هما، أم يذبلٍ ويَرَمرَمِ؟

فالاستفهام في (أقبرا)، و(أبي نصر) هو ابن حميد، و(قحطبة) ابن عمّ أبي حميد المذكور، وقد قاتلا معه واستشهدا، ودُفنا في بلادٍ بعيدة عن بلاد العرب، ويذبل جبل في نجد، أو هو جبل بين اليمامة وطريق البصرة ويقال له أذبل (الزمخشريّ، 1999)، ويَرَمْرَمُ: بالفتح، وتكرير الراء، والميم: جبل في بلاد قيس (الحمويّ، 1995)، ودخول همزة الاستفهام على لفظ القبرين فيه دلالة على التَّوجُّع والأسى، ومجيء (أم) المعادلة يُشعرنا فيها البحتريّ بإحساسه العميق بقرب القبرين.

3- **الهمزة+المصدر**: ومنه قول البحتريّ في مدح محمد بن عبدالله بن طاهر ورثاء أخيه طاهر وعمه الحسين: (البحتري، صفحة 963/3)

أجِدَّك ما تنفكُّ تشكو قضيَّةً تُردُّ إلى حكمٍ من الدهر جائرِ؟

فالاستفهام في قوله (أجِدَّك)، وهذا التركيب قديمُ الاستعمال، مُستعملُ على الدَّوم بهذه الصيغة وعلى الإضافة، قال سيبويه في باب (ما يَنتصب من المصادر توكيداً لما قبله): "ومثل ذلك في الاستفهام: أَجِدَّك لا تَفعلُ كذا وكذا؟ كأنَّه قال: أَحَقًّا لا تَفعل كذا وكذا؟ وأصلهُ من الجِدّ كأَنَّه قال: أجدا، ولكنّه لا يتصرَّف ولا يفارقه الإضافةُ كما كان ذلك في لَبَّيْك ومَعاذَ اللهِ" (سيبويه، 1988، صفحة 379/ ج1)، وقال الأصمعي: "معناه أَ بِجِدٍّ منك هذا؟، وقال أبو عمرو: معناه: ما لَكَ ورجلٌ جَدٌّ، أي: ذو جَدٍّ "(الفارابيّ، 2003، صفحة 4/ ج3)، أمَّا سبب فتح الجيم هنا فقد بيَّنه ابن درستويه بقوله: "إنَّ كلَّ ما كان في أوله ألف الاستفهام، فإنَّه مكسور الأول؛ لأنَّه يُراد به الجدّ في الأمر، والمضي فيه، والانكماش وترك السهو والتواني؛ لأنَّ الجدَّ ضد الهزل، يقال: أبِجَدٍّ هذا القول منك؟، وأجَدّك؟، هذا كله مكسور؛ لأنَّ معناه الحقيقة والمضي في العزم، وهو أيضا اسم موضوع موضع المصدر وتقول: قد جَدّ في أمره يجدُّ جداً، فكان الفتح بالمصدر أولى، ولكن فرق بالكسر بين هذا وبين الأول" (ابن درستويه، 1998، صفحة 326).

وهذا الاستفهام بكسر الجيم معناه أنَّك تستحلفه بجِدّه وحقيقته، وإذا فتحتَ الجيم استحلفته بجَدّه، أي: ببختهِ، فهو يعني بالجدّ البختَ (الفراهيديّ، 1967)، وهو شبيهٌ بقولنا: مَا لَكَ؟ (ابن قتيبة، 1963)، فدلالتُهُ الاستغرابُ المُتضمّن لنوع من الزَّجر اللطيف، أو الحثِّ الهادئ على مفارقةٍ فكرةٍ ما، والبحتريّ في هذا البيت قضيَّتُهُ تصرُّف الأيَّام وتقلُّب حوادثها وخيانة الدهر، وكون الإنسان كثيراً ما لا ينالُ ما يسعى إليهِ، أو تصيبُه مصيبةٌ مفاجئة لم تكن تخطر بباله، وقد جعل البحتريُّ هذا البيتَ في أبياتٍ من مدخل قصيدته للرثاء؛ لأنَّه يريد التخفيف من وطأة مصيبةِ المُخاطَبِ المُعزَّى، وهو بذلك يواسيه. ومن استعماله المصدر قوله يمدح ابن بسطام ويرثي غلاما له مغنياً يقال له زبرج مات بمنونيا: (البحتري، صفحة 1059/2)

أَوَغْكُ منونا صار للموتِ مورداً وكان ارتقابَ الموتِ من وغْكِ خيبرِ

فقد دخلت الهمزةُ على الوعك، والوَغْكُ: مَغْثُ المَرْض، أي: أَذَى الحُمَّى ووجعها فِي الْبدن، يقال: وعكته الحُمّى، أي: دكّتهُ، وهي تَعِكُه (ابن سيده، 2000)، وقد دلّ هذا الاستفهامُ على التعجُّب الممزوج بالتفجُّع.

4- **الهمزة+الاسم المضاف**: ومنه قوله يرثي قومه: (البحتري، صفحة 1848/3)

أبَعـــــدَ (مُبشِّرٍ) وأبي عُبيدٍ و(معيوفِ) المكارمِ والمَعالـي
وبعدَ أبي (أبي العطَّافِ) أرجو وفاءَ الدَّهر أو عهد الليالـي

حيث جاء التركيب على النحو الآتي: الهمزة+بعدَ، و(بعد) من الظروف المعرفة بالقصد وهي التي يسميها النحويون (الغايات)، وهو ظرف لازمٌ للإضافة، معنى ولفظا في أكثر الاستعمال، ويُقطع (السامرائيّ، 2000) عن الإضافة لفظاً وينوى معناها إذا عُلم المضاف إليه ولم يقصد إبهامٌ (ابن مالك، 1990).

والاستفهام متوجه نحو الظَّرف (بعد)، ودلالته النَّفي، ليست هناك مكارم ومعالي بعد زمانٍ، أو انقضاءِ زمانِ (مُبشِّرٍ) وأبي عُبيدٍ و(معيوفٍ)، وليس بعد وفاء أبي العطَّاف من وفاء، فجعل المكارم والمعالي والوفاء واقفةً منتهيةً عندهم.

3- **الهمزة+الحرف:** وقد جاء في صورٍ:

1- همزة استفهام+ما(النافية)، وقد جاء في صورة: همزة استفهام+ما(النافية)+ اسم فاعل: ومنه قوله يرثي أبا العباس بن ميكال أخا الشاه: (البحتري، صفحة 1863/3)

أَما قائلٌ للشاهِ والشَّـــــاهُ غُـرَّةٌ مُخبِّرةٌ عن مُلكِ (غرشٍ)، و(كابل)

أطِلْ جفوةَ الدنيا وتهوينَ شأنها فما العاقلُ المغرورُ منها بعاقلِ

فإنَّ قوله: (أَما قائلٌ) وإنْ كانت صيغته التقرير، فإنَّه يدلُّ على الحثِّ على التخفيفِ عن الشَّاهِ بمصيبتهِ في أخيهِ، فهو على معنى: (قولوا)، فصورته الاستفهام ودلالته الأمر، ووجود (ما) يتضمَّن استحثاثاً أو أمراً أشد ممَّا لو قال: (أقائلٌ)، وقائل فيما لو استُعمل أقوى دلالةً من الأمر الصَّريح؛ لأنَّه قد يدلُّ دلالةً إيحائيَّة من القائل على الاستغراب من عدم وجود مَنْ يُخفِّف عن الشَّاه ولو بالقول (قائل)، وهذا كلّه يعود ليصبَّ في غرضِ التَّخفيف.

2- **همزة استفهام+الواو (حرف العطف)+ ما:** ومنه مجيؤها في التركيب الآتي: الهمزة+الواو+الفعل المضارع، ومنه قوله يرثي قومه: (البحتري، صفحة 1032/2)

أوَ مَا تَرَوْنَ الشَّامِتين أمامَكم ووراءَكم مِنْ مُضمِرٍ أو مُظهِرِ

وقد تكلَّم سيبويه عن هذه الواو، فقال: "وهذه الواو لا تدخل على ألف الاستفهام، وتدخل عليها الألف، فإنما هذا استفهامٌ مستقبلٌ بالألف، ولا تدخل الواو على الألف، كما أن (هل) لا تدخل على الواو. فإنما أرادوا أن لا يجروا هذه الألف مجرى (هل)، إذ لم تكن مثلها، والواو تدخل على هل" (سيبويه، 1988، صفحة 187/ ج3)، وهذه الواو تشبه الفاء، وغالباً ما تكونان مُرتبطتين بكلامٍ سابق أو لاحقٍ تتعلَّق به دلالة جملة الاستفهام، وقد يكون الكلام مُقدَّراً أو ظاهراً (يوسف، 2001). والأبيات التي سبقت هذا البيت تتكلَّم على تنازع قومه وتقاتلهم، فيكون المعنى: أتفعلون ذلك التناحر والتقاتل، وما ترون الشَّامتين بكم؟.

ومعنى الاستفهام هنا ودلالته هي التقرير، والتقرير هو حمل المخاطَب على أنْ يُقرَّ بمضمون السؤال، أو هو حملك المخاطب على أمر قد استقر عنده (البدويّ، 2005)، كما نلاحظُ أنَّ السؤال هنا متوجّهٌ نحو الفعل المضارع، فلم يقل: أأنتم لا ترون؛ لأنَّ ذلك قد يتضمَّن الإشارة إلى أنَّ غيرهم يرى هذا الشيء، وهم فقط لا يرونه، لكنَّه لمْ يُرِدْ ذلك، ولكنَّه أراد بهذا التركيب الدلالة على اختصاصهم له من حيث انتفاء الفعل، وكأنَّه يقول: أأنتمْ عُمْيٌ فلا ترون؟!. وفيهِ دلالةٌ ضمنيَّة على الحثِّ على الانتباه والتبصُّر لكلِّ ما يدور حولهم.

3- **همزة الاستفهام+حرف الجرّ:** ومنه استعماله حرف الجرّ (في) بعد الهمزة، قال يرثي حميداً الطوسيّ وأولاده: (البحتري، صفحة 1944/3)

أقصرَ حُميدٍ لا عزاءَ لمُغرمٍ ولا قصرَ عن دمعٍ وإنْ كان من دمِ

أفيْ كلِّ عامٍ لا تزالُ مُروَّعاً بفذٍّ نعـــي تارةً أو بتوءمِ

فنلحظُ أنَّ السؤال متوجّهٌ نحو (في)، وهو حرفٌ معناهُ الوعاءُ، أي: الظَّرفيَّة – مكانيَّة أو زمانيَّة- (الزجّاجيّ، 1984)، والظرفيةُ هي الأصل فيه، ولا يُثبت البصريون غيره، وتكون للظرفية حقيقةً، ومجازاً (المراديّ، 1992).

والاستفهامُ هنا خَرَجَ لمعنى التَّفجُّع، وتوجُّهُ الاستفهام نحو ظرفِ الزَّمان يدلُّ على تألُّم الشَّاعر على استمرار الفجائع السَّنويَّة على تلك الأسرة، وإنَّما اختار العام؛ لأنَّ الإنسان لا يكاد ينسى مصيبته بعزيزٍ إلَّا بعد عامٍ، ومصيبة أهل ذلك البيت عظيمة، فهم إمَّا مفجوعون بالفذِّ والتوأم، قال الخليل: " أوَّلُ أسماء السِّهام: الفَذُّ، ثمَّ التَّوْأمُ" (الفراهيديّ، 1967، صفحة 139)، وأصلُ الفذِّ الفردُ، والفرق بين الفذ والواحد: أنَّ الفذ يفيد التقليل دون التوحيد يقال لا يأتينا فلان إلا في الفذ، أيّ: القليل" (العسكريّ، 1992، صفحة 399)، والتوأم معروفٌ. وبناءً على ذلك يكون الاستفهام الدالّ على التفجّع مُسبَّباً بكون المفقودين إمَّا أفذاذاً لا نظيرَ لهم، أو توائم، أو أراد أنَّهم كالسِّهام من حيث إصابة العدوّ.

ومنه استعمال حرف الجرّ (عن)، قال يرثي أبا العباس بن ميكال أخا الشاه: (البحتري، صفحة 1863/3)

أَعَنْ دولٍ في العُصبتين تعاقبتْ؟ فما نقَّلَ الحالات نقلَ التَّداولِ؟

فقد دخلت الهمزة على (عن)، قال المرادي: "وذكروا له معاني: الأول: المجاوزة، وهو أشهر معانيها، ولم يثبت لها البصريون غير هذا المعنى، فمن ذلك قوله: رميتُ عن القوس؛ لأنه يقذف عنها بالسهم ويبعده، ولكونها للمجاوزة عُدِّي بها: صد، وأعرض، ونحوهما، ورغب، ومال، إذا قصد بهما ترك المتعلق" (المراديّ، 1992، صفحة 245). وكلام البحتري هنا في سياق ذكر المصائب ومقتل خيار الرّجال، وهو يدلُّ على الحيرة الممزوجة بالألم.

الفرعُ الثَّاني: هل

وأمَّا التركيب اللغويّ للهمزة مع الجُمل الواردة فيها، فقد كان على النَّحو الآتي:

أوَّلاً: (هل) مع الأفعال :وقد جاءت مع الفعل الماضي مرَّةً واحدةً، ومع المضارع مرَّة واحدة فقط:

1- **هل+فعل ماضٍ:** ومنه قوله في مدح محمد بن عبدالله بن طاهر ورثاء أخيه طاهر وعمه الحسين: (البحتري، صفحة 965/2)

وهل تَرَكَ الدهرُ الحسينَ بن مصعبٍ فيبقى على الدَّهرِ الحسينُ بن طاهرِ

فنلحظ دخول (هل) على الفعل الماضي (تَرَكَ)، وأسنَدَ التَّركَ إلى الدَّهر على سبيل المجاز، وهو استعارةٌ مكنيَّة (الزمخشريّ، 1987)، حيث بنى البحتريُّ هذا البيت على التخييل، فصوَّرَ الدهر في صورةِ إنسانٍ، وهذا الإنسان لا يتركُ شخصاً أمسكَ به، "وَالتَّرْك عِنْد الْعَرَب تخليف الشَّيْء فِي الْمَكَان الَّذِي هُوَ فِيهِ والانصراف عَنهُ" (العسكريّ، 1992، صفحة 113)، وهذا الفعلُ يشيرُ بأصل وضعه إلى الدلالة على الإمساك أولاً، فالتَّارك للشيء هو الذي أمسك به وقبض عليه بيديه وتركهُ تخليته (ابن فارس، 1979)، فكأنَّ البحتريَّ يريد القول: إنَّ الدهر صار كالبشر الذي يعقل ويتصرَّف، ويعرف من يمسك بهِ من خيار النَّاس، قد أمسكَ بالحسين بن مصعب ولم يتركه حتى قُتل. ودلالة الاستفهام هنا النَّفي؛ لأنَّ المعنى: ما أبقى الدهرُ الحسينَ بن مصعبٍ فيبقى الحسينُ بن طاهرٍ.

2- **هل+فعل مُضارع:** قال في رثاء المتوكل: (البحتري، صفحة 1048/2)

وَهَل أَرتَجي أَن يَطلُبَ الدَمَ واتِرٌ يَدَ الدَهرِ وَالمَوتورُ بِالدَمِ واتِـرُهْ

أَكانَ وَلِيُّ العَهدِ أَضمَرَ غَـدرَةً فَمِن عَجَبٍ أَن وُلِّيَ العَهدَ غادِرُهْ

فقد استعمل (هل) مع الفعل (أرتجي)، وقد أوردنا البيت الثاني ليتمّ المعنى، وقد ذكرنا سابقاً أنَّ الشاعر أراد بالغادر المنتصر بالله الذي قتلَ أباه، والاستفهام هنا يدلُّ على النَّفي، بمعنى: لا أرتجي، وأصلُ الرَّجاء الأمل (ابن فارس، 1979)، وهكذا نجده قد وجَّه النفي نحو الرجاء، فإذا كان الشاعر قد نفى الأمل في طلب حقّ الخليفة المقتول، فكيف بالفعل، إذا كان الأمل منفيّاً من أصله؟!، فلو قال: (وهل يطلبُ الدم)، لكان المعنى أنَّ الشاعر يأمل في قلبه وفكره بذلك، ولكنَّه نفى أصل الرجاء، فكأنَّه لا يفكِّر فيه أصلاً. أمَّا دلالة الفعل المضارع هنا فهي ليست الحال، ولكنَّها الاستقبال بسبب دخول (هل) عليه؛ فهي تخصص الفعل المضارع بالاستقبال (السامرائيّ، 2000)، ومنه قوله يرثي غلاماً له اسمه قيصر: (البحتري، صفحة 259/1)

لعلَّ أخاكَ يرقبُ هل تُطاطي له منِّي النوائب إذ تنوبُ

و(هل) هنا تدلُّ على التمنِّي، فكأنَّ البحتريَّ يقول: إنَّ أخاكَ يتمنَّى أنْ تجعلني النَّوائب أُطأطئ رأسي.

3- **هل+حرف الجرّ (في):** وقد دخلت (هل) على حرف الجرّ (في)، ولم ترد مع غيره، ومنه قوله في مدح محمد بن عبدالله بن طاهر ورثاء أخيه طاهر وعمه الحسين: (البحتري، صفحة 965/2)

وهل في تمادي الدَّمع رجعٌ لذاهبٍ إذا فات، أو تجديد عهدٍ لداثرِ

فنلحظ أنَّ السؤال متوجِّهٌ نحو (في)، وهو حرفٌ الظَّرفيَّة –مكانيَّة أو زمانيَّة– (الزجّاجيّ، 1984)، و(هل) هنا تحتمل دلالتها احتمالين:

– أحدهما: أنَّها للتَّمنِّي، فكأنَّ الشاعر يقول: كنتُ أتمنَّى أنْ يكون في إطالة البكاء رجوعاً لمن غادر هذه الحياة، ولكنَّ ذاك ليس بحاصلٍ.

– والآخر: أنَّها للنَّفي، فكأنَّ الشاعر يقول: وليس في إطالة البكاء رجوعٌ لمن مات.

ودخول (هل) على الظَّرف أكسبت البيت جمالاً وعمقاً دلاليّاً، فالبكاء ليس ظرفاً، ولكنَّه كأنَّه جعلهُ ظرفاً، فقال: لَو أحاطَ بيَ البكاءُ من كلِّ جانبٍ فصار عَليَّ وعليكم كالوعاء ما رَجَعَ مَنْ فقدناه، فَعَلينا الصَّبر.

المبحثُ الثَّاني: أسماءُ الاستفهامِ

أسماءُ الاستفهام مبهمةٌ، يُستفهم بها للتصوُّر، والجواب عنها يكون بتحديد المسؤول عنه، وجميعُ أسماء الاستفهامِ مبنيَّةٌ، إلَّا (أيّ) فهي معربة في كل أحوالها، ولا تُبنى إلا في حالة واحدة، وذلك حين تكون مضافة وبشرط أن تكون صلتها جملة اسمية صدرها ضمير محذوف، فتقول: سيفوز أيُّهم مجتهد (ابن جني، 1990)، وأمَّا إعراب هذه الأسماء فقد ذكر ابن جني قاعدة موجزة فيها، فقال: "وإعراب الْجَواب على إِعْرَاب السُّؤَال؛ إِن رُفع رفعتَ، وَإِن نُصب نصبتَ، وَإِن جَرَّ جَررتَ، يَقُول: من هَذَا؟، فَتَقول: زيدٌ، فَترفع؛ لِأَنَّ (من) مَرْفُوعَة بِالِابْتِدَاءِ، وَإِذا قَالَ: من ضربت؟، قلتَ زيداً، وَإِذا قَالَ: بِمن مَرَرْت؟، قلت: بزيدٍ، فتأتي بِحرف الْجَرّ؛ لِأَنَّ حرف الْجَرّ لَا يُضمر" (ابن جني، 1990، صفحة 231)، والعكسُ جائزٌ، فلمعرفةِ إعرابِ اسم الاستفهام نُعربُ الجواب. وتَجمعُ أسماءَ الاستفهام عموماً نوعان من الدّلالة (ابن جني، 1990):

– أحدهما: الدّلالة على ذات معيَّنة مُحدَّدة، وهي: ما، أي، كم، من.

– والأخرى: الدلالة على الظَّرفية مكانيَّة أو زمانيَّة، وهي: أين، متى، أنَّى، أيّان، كيف، و(أيّ) إذا أضيفت إلى ما يدلّ على الظرفيَّة، ومن هذه الأسماء ما يأتي للشرط، وأسلوب الشرط واضح معلوم، فتخرج حينئذٍ عن الاستفهام. وأسماءُ الاستفهام الواردة في رثاء البحتري سبعةٌ، هي: أينَ، أيّ، كَمْ، كيفَ، مَا، مَتى، مَنْ، وعلى وفق ما موضح في الجدول الاتي:

اسم الاستفهام	مرَّات استعماله
أينَ	7 مرَّات
أيّ	5 مرَّات
كَمْ	8 مرَّات
كيفَ	8 مرَّات
مَا	4 مرَّات
مَتَى	مرَّة واحدة
مَنْ	3 مرَّات

ونلحظُ أنَّ أقلَّ أسماء الاستفهام استعمالاً (متى)؛ ولعلّ سبب ذلك هو أنَّ زمن المَرثيّين من الموتى قد مضى وانتهى، فلا شيءَ يتعلَّق بزمنهم. كما نلحظ أنَّ كَمْ وكيف أكثرها استعمالاً؛ ولعلّ سبب ذلك هو أنَّ (كم) جاءت للتكثير في معظم مواضعها لتناسب الثَّناء على المرثيّ بذكر كثرة محاسنه ومآثره، أمَّا كثرة (كيف) فإنَّها لمَّا كانت في الأصل للسؤال عن الحال، فكأنَّه يبكي حاله بعد موت ممدوحيه.

الفرع الأوَّل: أينَ

اسمُ استفهامٍ مبني على الفتح، وأغلب أهل اللغة يقولون إنَّها تأتي للسؤال عن المكان سواء كان استفهاماً حقيقيّاً، أم مجازياً (ابن جني، 1990)، في حين ذكر الزَّجاجيُّ أنَّها تُستعملُ للسؤال عموماً، كقولنا: أين أخوك؟، وليس المراد أين مكانه وضَعَّفَ القول بأنَّها للمكان فقط (الزجّاجيّ، 1984). وتدخلُ (أين) على الأفعال والأسماء والحروف، ولكنَّها وردت في رثاء البحتري داخلة على الأسماء فقط، سبع مرَّات:

1– أين+اسم مفرد: ومنه قوله يرثي أبا سعيد محمَّد بن يوسف الثغري الطائي: (البحتري، صفحة 1950/3)

أينَ السحابُ الجودُ والقمرُ الذي ... يجلو الدُّجى، والضَّيغمُ الضّرغامُ

أينَ العبوسُ المُشمئزُّ إذا رأى ... جنفاً، وأينَ الأبلجُ البسَّامُ؟

حيث نلحظُ أنَّه أردفَ اسم الاستفهام باسم مفرد في المواضع الثلاثة، فقال: (أينَ السحابُ)، (أينَ العبوسُ)، (وأينَ الأبلجُ)، وهو في الأول والثاني والثالث اسم مفرد موصوف بصفةٍ مفردةٍ. وهذا كلُّهُ وظَّفهُ لإظهار ما في نفسه من تفجُّعٍ وحسرةٍ وألمٍ على الفقيد المرثيّ، فقد وصفه بأنَّه هو السحاب وهو عين الجود، ولم يقل: سحاب جودٍ، ووصفه بالضيغم الضرغام، والضيغم الأسدُ الواسعُ الفم الذي يعضُّ خاصَّة، يقال منه، ضغم، والياء زائدة (ابن قتيبة، 1996) .ولدلالة (أين) المحوريَّة علاقة بدلالتها السياقية هنا، فإنَّها لمَّا كانت تدلّ على السؤال عن المكان، فكأنَّ الشَّاعر يقول: بحثتُ في كلِّ مكان عنه فلم أجده، وتكرار (أين) يشعرنا بتكرار البحث، مقروناً بتكرار الصفات التي ذكرها للمرثيّ. وقد تكرَّرت (أين) مرتين في بيتين متتابعين في رثاء المتوكِّل، قال ابن رشيق: "وأولى ما تكرر فيه

الكلام باب الرثاء؛ لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع،وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد" (القيروانيّ، 1981، صفحة 67/ ج2). ومنه قوله يرثي غلاماً له اسمه قيصر: (البحتري، صفحة 259/1)

فأين النَّفسُ ذات الفضل عمَّا تسكَّعَ فيه والصَّدرُ الرَّحيب؟

حيث أدخل أداة الاستفهام (أين) على (النفس)، والاستفهام هنا دالٌّ على جزعهِ، كأنَّه يقول بحثتُ في كلِّ مكانٍ عن الصدر الرَّحيب والنفس؛ لأتسلى عن فقدانه فلم أجد.

2- **أينَ+اسم مضاف:** قال يرثي يوسف بن محمَّد بن يوسف: (البحتري، صفحة 2184/4)

فأينَ أميرَ المؤمنين فإنَّهُ كَفِيْلي على ماساءَكم وضميني

1- فقد أدخل البحتريُّ (أينَ) على (أمير المؤمنين)، ولا بدَّ لنا من معرفة سياق البيت، فيوسف المذكور ولَّاه المتوكل حرب أرمينيا وأذربيجان، فضبط أمورها، وبينما هو في عمله ثار عليه أحد بطارقة أرمينية يطلب الإمارة لنفسه، فتمكن منه يوسف وقيَّده وأرسله إلى الخليفة، فثار البطارقة هناك وثاروا على يوسف وقاتلوه حتى قتلوه، فأرسل المتوكل أحد قادته للأخذ بثأر يوسف فقاتلهم حتى قتل فتلته، وأعاد الأمور إلى نصابها (ابن الأثير، 1997) .من هذا نستنتج أنَّ أيضاً هنا تضمَّن دلالتين:

- إحداهما: تخصُّ البطارقة: وهي التَّهديد.
- والأخرى: الاستغاثة بالخليفة.

ونلحظُ إدخال لفظ الاستفهام على (أمير المؤمنين)، وليس على (الخليفة)، أو (المتوكل) وأرى أنَّ فيهِ تعريضاً بهؤلاء الخارجين الثائرين بأنَّهم بفعلتهم تلك قد خرجوا عن الإيمان وجماعة المؤمنين، وشقّوا عصا الطَّاعة. كما نلاحظ أنَّهُ أبهمَ مُراده في العجز بقوله: (ما ساءَكم)، فما هنا اسم موصولٌ لكنَّه مّبهم؛ لأنَّه يدلُّ أيضاً على التهديد، فلو صرَّحَ بشيءٍ كأنْ يقول قتالهم لكان أخفّ وطأةً على نفوسهم من الإبهام، ففي الْإِبْهَامِ يذهبُ الوهمُ في التَّفكيرِ بالمقصودِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَيتضاعف تَشَوُّفُهُ إِلَى مَا هُوَ الْمُرَادُ، وإيقاعه على محتملاتٍ كثيرة، فَيَرْجِعُ قَاصِرًا عَنْ إِدْرَاكِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَعْظُمُ شَأْنُهُ وَيَعْلُو فِي النَّفْسِ مَكَانُهُ (ابن الأثير، 1956).

الفَرعُ الثَّاني: أيّ

وهي اسم استفهامٍ مُعربٌ، ومدلولها بحسب ما تضاف إليه، فإن أضيفت إلى مكان كانت مكاناً، وإن أضيفت إلى زمان كانت زمانا، وإن أضيفت إلى غيرهما كانت بحسب ما أضيفت إليه، وإنما أقِرّ في التثنية والجمع والتأنيث على صورة واحدة، لأنه يستفهم به فأشبه (مَنْ) (الفارسي، 1990)، وتقع "أيٌّ" شرطيةً واستفهاميةً وصفةً لنكرةٍ مذكورة غالباً وحالاً لمعرفةٍ، ويلزمها في هذين الوجْهَين الاضافةُ لفظاً ومعنىً الى ما يماثلُ الموصوفَ لفظاً ومعنىً إنْ عُلِمَ المُضافُ اليه، وأي فيهما بمنزلةِ كلِّ مع النكرة وبمنزلةِ بعضٍ مع المعرفة، وإذا قُطعت عن الإضافةِ تُنوِّن (ابن مالك، 1967). وقد وردت أيٌّ في رثاء البحتري خمس مرَّات، على النَّحو الآتي:

1- أيٌّ المضافة إلى الأسماء المسبوقة بحرف الجرّ: وقد وردت مرَّتين: (البحتري، صفحة 1731/3)

- إحداهما: قوله يرثي أبا سعيد محمد بن يوسف:

بِأيِّ أسىً تُفنى الدُّموعُ الهوامِلُ ويُرجى زيالٌ من جوى لا يُزايَلُ؟

حيث جاء التركيب: (الباء)+أيّ+اسم، وهذا هو أوَّل بيت في مطلع قصيدته الرثائيَّة، قال ابن فارس: "الْهَمْزَةُ وَالسِّينُ وَالْيَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهُوَ الْحُزْنُ؛ يُقَالُ: أَسِيتُ عَلَى الشَّيْءِ آسَى أَسًى، أَيْ: حَزِنْتُ عَلَيْهِ" (ابن فارس، 1979، صفحة 106/ ج1)، وقد دلَّ هذا الاستفهام على شديد التَّوجُّع والتَّفجُّع وعِظَمِ المصيبة، حتى كأنَّ الشاعر أُصيب بفاجعاتٍ عدَّة، ولكثرتها هو حائرٌ على أيِّها يُفني دموعه؟!.

- والأخرى: قوله يرثي ابن أبي الحسن محمَّد بن عبدالملك بن صالح الهاشمي الحلبي: (البحتري، صفحة 1953/3)

لأيَّةِ حالٍ أعلنَ الوجدَ كاتمُهْ وأقصَرَ عن داعي الصَّبابةِ لائمُهْ

حيث جاء التركيب: اللام+أيّ+اسم، ونلحظ أنَّه قال: أيَّة؛ لأنَّ أيٌّ قد تُؤنَّث إذا أُضيفت إلى مؤنّثٍ، وتَرْكُ التأنيث أَكْثَرُ فيها (ابن يعيش، 1963)، إذن هي في المذكر تُذكَّر دائماً، والاختلاف عند مجيئها مع المؤنث، وكلمة (حال) ممَّا يُذكَّر ويؤنَّث، فالظاهر أنَّ الغاية الدلاليَّة وراء هذا التأنيث الإشارة إلى الضعف؛ لأنَّ المؤنث ضعيف. وهذا البيت أيضاً من مطلع القصيدة المذكورة، فهو أوَّل بيت فيها، والاستفهام مثيرٌ ذهني يستعمله الأوائل لاجتذاب المتلقِّي

2- أيّ المضافة إلى الأسماء غير المسبوقة بحرف الجر: وقد استعملها ثلاث مرّات في بيتين:

- أحدهما: قوله يرثي غلاماً له اسمه قيصر: (البحتري، صفحة 257/1)

وأيُّهُمُ يُعيرُ عليكَ دمعاً وَ(آنسُ) دون دهرك والدروبُ

فقد أضاف أيّ إلى الضمير (هم)، وجاء الاستفهام للتفجُّع.

- والآخر: من قصيدته المشهورة في رثاء أمّ المتوكل حين قال: (البحتري، صفحة 1887/3)

للهِ أيُّ يدٍ بان الحمامُ بها منًّا، وأيَّة نفس غالها الأجلُ

ففي الصَّدر جاء بأيّ مذكَّرة مضافة إلى اسمٍ نكرة مذكَّر، في حين جاء في العجز بأيّ مؤنثة مضافة إلى اسم نكرةٍ مؤنَّثة، فذكَّر عند الإضافة إلى المذكَّر، وأنَّث عند الإضافة إلى المؤنَّث، وقد دلّ الاستفهامُ على التَّعظيم، والمعنى أيّ يدٍ عظيمةِ الكرم قد أخذها الموت!، وأيّ نفسٍ عزيزة علينا اغتالها الأجل المحتوم. وتأنيثُ (نفسٍ) للإشارةِ إلى رقَّة قلبها، وشدَّة عطفها وحُنوّها، فكأنَّها حملت كلّ ما تحمله الأنثى من رقَّةٍ ورأفةٍ ورحمة.

الفرعُ الثَّالث: كَمْ

وهي اسم استفهام مبني على السكون، وتأتي للسؤال عن العدد أو الكمّيَّة (السكّاكيّ، 2000)، وقد وردت ثماني مرَّات، كلُّها للتكثير، وعلى وفق التركيب الآتي:

1- كَمْ+فعل ماضٍ: قال في رثاء أحد العلويين: (البحتري، صفحة 1931/3)

فَكم أذللتَ من رجلٍ عزيزٍ وكم أعززتَ من رجلٍ ذليلِ

فقد جاء بـ(كم) يليها الفعل (أذلل)، وهو يدلُّ على كثرةِ مَنْ أذلَّهم ذلك العلويُّ الشجاع، وشجاعته لا تكمن في الإذلال منفرداً، ولكنَّها في إذلال عزيز القوم، فإنَّ معالجة شأنه أصعب وأشدّ، وكذا تحويل الذليل إلى عزيز، ولا ننسَ أنَّ كلاً منهما لا بدَّ من الإعزاز أو الإذلال نفسيّاً، وهو أصعب من إذلال الأجساد أو إعزازها. وقال يرثي الموفق ويمدح أبا العباس المعتضد: (البحتري، صفحة 2189/4)

وكَمْ سُئلتَ فما ألفيتَ ذا بخلٍ ولا وجدنا عطاءً منك ممنونا

فقد أردف (كم) بالفعل الماضي، وهو يدلّ على التكثير، والماضي حصل وانقطع، لكنَّ التكثير منحه معنى الاستمرار حتى لو كان في الماضي، وكأنَّه يقول: مسألةُ كثرة سؤال الناس لك، وإغداقك عليهم معلومةٌ منذ الزمن الماضي، وليست بمعلومةٍ جديدة.

2- كَمْ+اسم: قال في رثاء أبا سعيد محمد بن يوسف: (البحتري، صفحة 1732/3)

فَكم جُرُزٍ من أرضِ (جرزان) فاتَها تتابعُ سَحٍّ مِنْ يديهِ ووابلُ

فقد أدخلَ (كم) على الاسم (جرز)، والْجُرُزُ: الأرضُ التي لا تُنْبِتُ شيئًا (ابن قتيبة، 1978)، يقول: كثيرةٌ هي الأراضي الجرداء التي فقدت بموتك الغيث الرقراق المتتابع الذي يُحييها.

3- كَمْ+حرف جرّ: جاء حرف الجرّ بعد (كم) في أربعة مواضع، (من) مرَّتين، و(في) مرَّة واحدة، والباء مرَّة واحدة، قال في رثاء أحد العلويين: (البحتري، صفحة 1913/3)

وكم مِنْ خُرّ وجهٍ فاطميٍّ جَلَوْتَ وكانَ كالرَّسمِ المُحِيْلِ

وقال في القصيدة نفسها: (البحتري، صفحة 1913/3)

هو النَّبأُ العظيمُ وكم بأرضٍ أُسيلَ دمٌ على خدٍّ أسيلِ

فالمرثيُّ كثيراً ما جلا الغبار عن وجوه الأحرار من أبناء السيدة فاطمة –عليها السَّلام–، فجعلهُ مجلوَّاً كالمرآةِ من السعادة والفرح، بعد أنْ كان كالرَّسم المحيل، وهو الأثر التي أتت عليه السّنون فتغيَّر.

الفرع الرَّابع: كَيْفَ

اسم استفهام مبني على الفتح وهي اسم مبني لشبهها بالحرف في المعنى (ابن مالك، 1967)، تأتي للسؤال عن الحال، قال سيبويه: "وكيف على أي حال" (سيبويه، 1988، صفحة 60/ ج3)، وقال ابن مالك: "ومعنى كيف الاستفهام عن وصفٍ منكورٍ

لموصوف بعده مذكور؛ فلذلك لا يبدل منها، ولا يجاب إلا بصفة نكرة، فيجب أن تكون عامة لجميع أحوال الموصوف حتى يصح أن يجاب بعضها. ولذلك تسمى اسم استفهام عن الحال" (ابن مالك، 1990، صفحة 104/ ج4). والنحاة يعربونها خبرًا للمبتدأ، في نحو (كيف أنت) وخبرًا للفعل الناقص في نحو (كيف كنت)، ومفعولا ثانيًا في نحو (كيف ظننت محمدًا)، وفيما عدا ذلك يعربونها حالا نحو: (كيف جئت) و(كيف نمت)، وقد تُعربُ مفعولا مطلقا (ابن مالك، 1967)، قال المناوي: "كيف: كلمةٌ مدلولها استفهامٌ عن عموم الأحوال التي شأنها أنْ تُدرك بالحواسّ" (القاهريّ، 1990، صفحة 614)، وقد وردت (كيف) في رثاء البحتري ثماني مرَّات.

1- كيفَ+فعل مضارع مبني للمعلوم: قال يرثي أخا الصابوني القاضي: (البحتري، صفحة 217/1)

فيا ويح الحوادثِ كيف تُعطي؟ شقيَّ القومِ من حظِّ السَّعيدِ

وكيفَ تَجوزُ إنْ هَمَّتْ بحُكمٍ فتحمل للغويِّ على الرشيدِ

فنلحظ أنَّها جاءت مكررة، في البيت الأول: (كيف تُعطي)، والثاني (كيف تَجوزُ)، ودلالتها في الموضعين على التعجب من تقلُّب أحوال الدهر، فيتحوَّل الشَّقيُّ إلى سعيدٍ، والسعيد إلى شقيٍّ، وفي البيت الثاني يتعجَّب من الأيام كيف تتجاوز القوانين فتجعل الضالَّ ينتصر على العاقل الواعي الحكيم.

2- كيف+فعل مضارع مبني للمجهول: ومنه قوله يرثي أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي: (البحتري، صفحة 1951/3)

أنظرْ إلى العلياءِ، كيفَ تُضامُ؟ ومآتم الأحسابِ كيفَ تُقامُ

لا تبعدنَّ! وكيف يقربُ نازلٌ بالغيبِ تفنى دونه الأعوامُ؟

فقد أدخل (كيف) على المضارع (تضام) المبني للمجهول، في البيت الأول، وأدخل كيف في البيت الثَّاني على (يقرب) المبني للمعلوم، ففي البيت الأوَّل دلالتها التعجب من الظلم، وفي الثاني النَّفي، وهو نفي عودة الميّت؛ لأنَّه نزل في علم الغيب عند الله تعالى. ومنه قوله في يرثي أبا القاسم بن يزداد ويعزي أخاه أبا صالح عنه: (البحتري، صفحة 1324/3)

وكيفَ تُنسَى وما استُنزلتَ عن خطرٍ ولا نسيتَ النُّهى خوفاً ولا طمعا

حيث أدخل (كيف) على (تُنسى) المضارع المبني للمجهول، ودلالة الاستفهام هنا هي النَّفي، بمعنى أنَّنا لَنْ ننساكَ، وإنَّما بنى الفعل للمجهول لسببين:

- أحدهما: العموم: فلو قال(ننساك) لاقتصر ذلك عليهم أو على البشر خاصة، ولكنَّه حين حذف الفاعل وسَّع الدائرة لتشمل كلَّ إنسانٍ، وكلَّ جمادٍ.

- والآخر: لأنَّ المراد نفي النسيان، بغضِّ النظر عن الفاعل.

ب- كيفَ+اسم: ومنه قوله في رثاء أبي سعيد محمد بن يوسف: (البحتري، صفحة 1735/3)

وكان وراء المدحِ إذ هو زائدُ الـ ـيدينِ فكيف الآنَ إذ هو كاملُ؟

فقد أدخل (كيف) على اسم الزمان (الآن)، ودلالة الاستفهام هنا التَّعظيم. ومنه قوله يرثي أبا القاسم بن يزداد ويعزي أخاه أبا صالح عنه: (البحتري، صفحة 1325/2)

كلاهما عبءُ مكروهٍ إذا افترقا فكيف ثقلهما المُوهي إذا اجتمعا

والضمير (هما) يعود على أمرين ذكرهما الشاعر قبل هذا البيت، هما: فقد الشقيق وفقد التجمل وهو التَّصبُّر، حيث أدخل (كيف) على (الثقل)، وخرج الاستفهام لمعنى المواساة.

الفرعُ الخامسُ: ما، ما بالُ، لِمَ

ما: اسم استفهام مبنيّ على السكون تكون للسؤال عن ذوات ما لا يعقل، وأجناسه، وصفاته، وللسؤال عن صفة من يعقل (المبرّد، 1987)، ويستعمل في بيان الحقيقة أو الصفة، وهي نكرة متضمنة معنى الحرف، ومعناها: أيّ شيءٍ؟ مَا حَبسك وَالْمعْنَى أَي شَيْء حَبس (المبرّد، 1987).

ويتنوع حكمها الإعرابي بتنوع موقعها في الجملة، فتأتي في موضع نصب بوقوع الفعل عليها، وفي موضع رفع بالابتداء، أو خبراً بمعنى الذي، وتأتي صلةً زائدة (الهرويّ، 1993). وقد وردت في رثاء البحتريّ أربع مرَّت، كلٌّ صيغةٍ وتركيب يختلف عن الصِّيغة والتركيب في البيت الآخر، وفيما يأتي تلك الأبيات:

1- ما+اسمٌ مصدرٌ: قال يرثي قومه: (البحتري، صفحة 848/3)

ورثتُ سيوفَهم ومضوا كراماً وما نفعُ السّيوفِ بلا رجالِ؟

فقد جاء في بيت العجز بـ(ما) الاستفهاميَّة تلاها (نفع) وهو اسمٌ مصدرٌ، وقد دلَّ الاستفهام هنا على النَّفي، والمعنى: لا نفعَ للسيوف بلا رجالٍ، وأراد بذلك التأكيد على أنَّ قيمة السلاح لا بذاته، وإنَّما قيمته بمن يحمله ويذود به عن الديار، ويحمي به النفوس، أما وراثةُ السيوف بلا رجال فليس لها أيُّ نفعٍ يُمكن أنْ يُذكر.

2- ما+ضمير المخاطَب المُفرد المُذكَّر (أنتَ): وقد ورد مرَّةً واحدةً، قال يرثي أبا سعيد محمد بن يوسف: (البحتري، صفحة 1734/3)

رَددنا إليهِ الأمرَ طوعاً ولم نقُلْ له في الذي يأتيهِ: ما أنتَ فاعلُ

وهذا هو الموضع الوحيد الذي خرجَ فيه الاستفهام إلى المعنى الحقيقيّ؛ لأنَّه حكايةٌ، فهو يقول: سلَّمنا الأمرَ إليه، ومهما صنعَ لا نسألهُ: ما الذي تفعل.

3- ما+بال: والبالُ هو الحال، يقال: أصلح اللهُ بالكَ أي: حالك ويعبّر بالبال عن الحال الذي ينطوي عليه الإنسان، فيقال: خطر كذا ببالي (ابن قتيبة، 1978)، وقد ورد في رثاء البحتريّ مرة واحدة قال يرثي قومه (بني شملال هم): (البحتري، صفحة 1030/2)

ما بالكم تتقاذفون بأعينٍ في لحظها جمر الغضا المتسعِّرِ؟

وهذا التركيبُ قديمٌ في الاستعمال عند العرب، وما استفهام مبتدأ، و(بال) خبر (الخرّاط، 2012)، والاستفهام خرجَ هنا للدلالة على الإنكار، فالشاعر يستنكر على قومه التصارع،ونظر بعضهم إلى بعضٍ بعيونٍ ملؤها الحقد والكراهية والرغبة في إشعال نيران الحروب، فهو يريدهم متماسكين حتى يكونوا أقوياء، لا مُتناحرين يُفني بعضهم بعضاً.

4- (ما) المسبوقة باللام المحذوفة الألف+فعل ماضٍ: وقد وردت مرة واحدة في قوله يرثي أبا عيسى العلاء بن صاعد: (البحتري، صفحة 1553/3)

فلا تُتبعِ الماضيْ سؤالك: لِمْ مضى وَعرِّجْ على الباقي فسائلْهُ لِمْ بقي؟

فـ(لِمْ) الواردة في الصَّدر والعجز أصلها (لِما)، فدخلت اللام في مقام السؤال عن العلة على (ما) الاستفهامية محذوفة الألف (ابن مالك، 1990)، وكان الأصل: (لِمَا)، فالأصل (مَا) إلا أن الألف تحذف إذا كان (ما) استفهامًا، فإذا وقفت فلك أن تقول: لِمَ، ولك أن تأتي بالهاء فتقول: لِمَه، وإثبات الهاء أجود في هذه الحروف؛ لأنك حذفت الألف من (ما) فيعوضون منها في الوقف الهاء ويبينون الحركة (ابن السرّاج، 1987)، وقد اختلف النَّحويون في إعراب (ما) هذه، فهي عند البصريّين مجرورة، وعند الكوفيّين منصوبة بفعل مضمر، كأنك قلت: كي تفعل ماذا؟ (ابن يعيش، 1963)، والبيت في مُفتتح قصيدته في الرثاء، افتتحها بأبياتٍ في الحكمة كعادة البحتريّ، ونلاحظ أنَّه قال في الصَّدر (لِمْ مضى)، وفي العجز (لِمْ بقي)، وهو في سياق النَّهي عن مثل هذا الاستفهام، وتشتمل هاتان الجملتان على مدلولاتٍ عدَّة، منها أنْ يتركَ الإنسانُ التفكيرَ فيما وقعَ وحصل وانتهى؛ لأنَّ التفكير فيه، وإكثار السؤال يكدِّر على الإنسان عيشه، ثُمَّ لا فائدةَ تُرجى من ورائه؛ لأنَّ الذي حصل قد حصل. كما ينبغي على الإنسان الانتباه إلى الباقي من نِعَمِ الله تعالى عليه، والحفاظ على خلَّانه الباقين.

ونلحظُ أنَّ التخفيف في تركيب الاستفهام هنا قد حصل حتى في الحركات، فانتقلَ مِن: (لِما) إلى (لِمَه)، ثُمَّ (لِمَ)، ثُمَّ (لِمْ)، وَ(لِمْ) تمثّل مقطعاً صوتياً قصيراً مغلقاً (غازي و محمود، 1017)، فكأنَّ الشاعر يقول: لا تبذلْ أدنى جهدٍ حتى لو كان بأدنى صوتٍ في الحزن والألم والتفتيش عمّا فاتك، وتمسَّك بما هو موجود بين يديك.

الفرعُ السَّادس: مَتَى

اسم استفهام مبني على السكون يُستفهَمُ به عن الزَّمان الماضي والمستقبل، وهو ظرفٌ متعلقٌ بغيره، فيكون في محلّ نصب حين يرد في الجملة الفعليَّة، وفي محلّ خبر مُقدَّم حين يرد في الجملة الاسميَّة، وتأتي للدلالة على الوقت المُبهم فتدلّ على الزَّمان المُطلق، بخلاف (إذ) التي تدلّ على الزَّمان المُعيَّن والوقت المحدود (ابن يعيش، 1963)، وقد وردت متى في رثاء البحتري مرَّة واحدة، في صورة التركيب الآتي: (متى+فعل ماضٍ)، قال يرثي سليمان بن وهب ويعزي ابنه عبيد الله: (البحتري، صفحة 1580/3)

ومتى وجدتَ الناسَ إلَّا تاركاً لحميمهِ في التربِ أو متروكا

فقد دخلت (متى) على الفعل الماضي (وجد)، وهي هنا تتضمَّن دلالة النَّفي، والمعنى: لن تجد النَّاس إلَّا تاركاً أو متروكاً، ومن حيث الزَّمنيَّة فهي هنا تشمل الأزمنة جميعها، فالمقصود: في كلِّ زمانٍ من الأزمنة ستجدُ النَّاس ما بين ميِّتٍ تاركٍ لأهله وأحبَّتِهِ، أو مفجوع بفقدان حبيبٍ أو قريب، وهذه سنَّة الحياة في النَّاس، إمَّا مفجوعٌ بنفسهِ، أو مفجوعٌ بغيره.

الفرعُ السَّابع: مَنْ

مَنْ اسم استفهام مبني على السكون ولهُ مواقع إعرابيَّة بحسب وروده في السِّياق، قال السكاكي: "وأما من فللسؤال عن الجنس من ذوي العلم تقول من جبريل بمعنى أبشر هو أم ملك أم جني وكذا من إبليس ومن فلان" (السكّاكيّ، 2000، صفحة 311)، وتدخل على الأسماء والأفعال والحروف. وقد وردت ثلاث مرَّاتٍ في الرثاء فقط وقد جاء تركيبها على النحو الآتي:

1- مَنْ+فعل مضارع: ومنه قوله يرثي أبا سعيد محمَّد بن يوسف الثغري الطائي: (البحتري، صفحة 1949/3)

ورزيئةٌ حَمَلَ الخليفةُ شَطْرَها والمسلمونَ، وشطرَها الإسلامُ

مَنْ يعتفي العافي بهمَّتِهِ، ومَنْ يأوي إليهِ المُعتمُ المُعتـامُ؟

فقال: (مَنْ يعتفي)، و(مَنْ يأوي)، فالسؤال هنا موجَّه إلى الفعل، فكأنَّ الشاعر يقول: أسألُ عن أحدٍ من البشر يفعل ذلك، فلا أجد تلك الصفات إلَّا في المرثيّ، والفعل وإنْ كان زمنه مضارعا فهو يدلّ على الاستمرار؛ لأنَّ سياق الكلام في معرض المدح دال على إرادة الاستمرار مع الثبوت (الجارم، 2008)، أمَّا دلالة الاستفهام هنا فهي النَّفي، بمعنى ليس هناك أحدٌ يعتفي العافي، أو يأوي إليه.

2- مَنْ+ذا+الفعل: ومنه قوله في رثاء غلامٍ له اسمه قيصر: (البحتري، صفحة 258/1)

فَمَنْ ذا يسألُ البجليَّ عمَّا يذمُّ من اختياري أو يعيبُ

قال الدكتور فاضل السامرائي: "وقد تلحقها (ذا) كما مرَّ في (ما) فتكون (من) اسم استفهام، و (ذا) اسم اشارة، وذلك نحو (من ذا؟)، و(من ذا واقفًا؟)، وقد تكون اسما موصولا، نحو: (من ذا أكرمت أمحمد أم خالد)، وقد تكون كلمة واحدة مركبة بمعنى (من) نحو (من ذا أكرمت أمحمدًا أم خالدا؟)" (السامرائيّ، 2000، صفحة 268/ ج4)، إذن هنا هي موصولة. ودلالة الاستفهام هنا التعظيم، تعظيم الشاعر نفسه.

الخاتمة ونتائج البحث

- استعمل البحتري تسع أدواتٍ من أدوات الاستفهام، وهي: الهمزة، و(هل)، وأينَ، وأيّ، وكَمْ، وكيفَ، ومَا، ومَتى، ومَنْ، في تسعٍ وخمسين مرَّة.

- استعمل البحتريُّ الهمزة (18مرَّة) وهو أكثر من ثلاثة أضعاف استعمال (هل) التي جاءت (5مرَّات)، وبما أنَّ الغرض هو الرثاء بالتفجُّع على الممدوح وتعداد محاسنه ومآثره، فإنَّ هذا الاستعمال الكثير للهمزة دلَّ على أنَّ الشاعر أراد أنْ يُعطيَ لنفسه مساحةً واسعة من التساؤلات؛ لأنَّ الهمزة تأتي معها أم المعادلة التي تفسح المجال واسعاً أمام التصورات المختلفة، بخلاف (هل) التي تتطلَّب جواباً قطعيّاً بـ(نعم)، أو (لا)، وهذه المساحة التي أعطاها البحتريُّ لنفسه وسَّعت مساحة التساؤلات وصولاً إلى توسيع دائرة ذكر محاسن الممدوح؛ وفاءً له، وتخفيفاً عن المُعزَّى.

- وكان أقلَّ أسماء الاستفهام استعمالاً (متى) حيث جاءت مرَّةً واحدةً؛ وسبب ذلك هو أنَّ زمن المَرثيَّين من الموتى قد مضى وانتهى، فلا شيءَ يتعلَّق بزمنهم، في حين كانت كَمْ وكيف أكثرها استعمالاً، فكلٌّ منهما ورد (8مرّات)؛ لأنَّ (كم) جاءت للتكثير في معظم مواضعها؛ لتناسب الثَّناء على المرثيّ بذكر كثرة محاسنه ومآثره، أمَّا كثرة (كيف) فإنَّها لمَّا كانت في الأصل للسؤال عن الحال، فكأنَّه يبكي حاله بعد موت ممدوحيه.

- جاءت الهمزة مع الفعل الماضي النَّاقص، والفعل المضارع التَّامّ، كما جاءت مع اسم الفاعل والاسم العلم، ومع المصدر، ومع الاسم المضاف، كما جاءت مع (ما) النافية، وواو العطف تليها (ما)، كما جاءت مع حرفي الجر: عن، في، وخرجت الهمزة في هذه التراكيب إلى معاني: التَّعجُّب والنَّفي والأمر والتفجُّع والمواساة والتقرير.

- جاءت (هل) مع كلٍّ من الفعل الماضي والمضارع مرَّة واحدة، كما جاءت مع الحرف الجر (في)، وذلك لمعاني: النَّفي، والتَّمنِّي.

- وردت (أين) في الديوان (7مرَّات)، ومع الأسماء فقط، وذلك مع الاسم المفرد والاسم المضاف، دالَّةً على معاني الجزع، والتهديد.

– استعمل البحتريُّ (أيّ) (5مرَّات) مضافة إلى الأسماء المسبوقة بحرفي الجر: الباء واللام، ومضافة إلى الأسماء غير المسبوقة بحرف الجر، وقد دلَّت على معاني التَّفجُّع والتعظيم.

– جاءت (كم) مع الفعل الماضي من الأفعال فقط، ومع الاسم، ومع حرفي الجرّ: مِن، وفي، وكلُّ معانيها التكثير.

– جاءت كيف مع الفعل مضارع مبني للمعلوم والفعل المضارع المبني للمجهول فقط، كما جاءت مع المصدر، ودلَّت على معاني التَّعجب، والتعظيم، والمواساة.

– استعمل البحتريّ (ما) بثلاث صيغ: (ما، ما بالُ، لِمَ)، (ما) لكلٍّ من (ما) (مابال) مرَّة واحدة، و(لِم) مرَّتين، جاءت منها ما المنفردة مع الاسم والضمير، وجاءت مابال مضافة، وجاءت (لِمْ) مع الفعل الماضي فقط، وذلك للدلالة على: النَّفي، والاستفهام الحقيقيّ المُفترَض، والتَّعجُّب.

– وردت (متى) في رثاء البحتري مرَّة واحدة مع الفعل الماضي دالَّةً على النَّفي.

– جاءت (مَنْ) (3مرَّات)، مع الفعل المضارع، ومع (ذا) والفعل المضارع أيضاً، وذلك للدلالة على النَّفي والتعظيم.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد. (1956). *الجامع الكبير*. بغداد–العراق: مطبعة العاني.

ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد. (1997). *الكامل في التاريخ*. بيروت–لبنان: دار الكتاب العربي.

ابن الأثير، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني. (1981). *المثل السائر*. القاهرة–مصر: دار نهضة مصر.

ابن السرّاج، أبو بكر محمد بن السِّري بن سهل. (1987). *الأصول في النحو*. بيروت–لبنان: مؤسسة الرسالة.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ. (1985). *سر صناعة الإعراب*. دمشق–سوريا: دار القلم.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصليّ. (1990). *اللمع في العربيّة*. الكويت: دار الكتب الثقافيّة.

ابن درستويه، أبو محمد عبد الله بن جعفر. (1998). *تصحيح الفصيح وشروحه*. القاهرة–مصر: المجلس الأعلى للشؤون العلمية.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية. (1987). *جمهرة اللغة*. بيروت–لبنان: دار العلم للملايين.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل. (2000). *المحكم والمحيط الأعظم*. بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. (1979). *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*. بيروت–لبنان: دار الفكر.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. (1997). *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*. بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِيُّ. (1996). *الجراثيم*. دمشق–سوريا: وزارة الثقافة.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1963). *أدب الكاتب*. القاهرة–مصر: المكتبة التجارية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم. (1978). *غريب القرآن*. بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (1988). *البداية والنهاية*. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

ابن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني. (1967). *شرح تسهيل الفوائد*. القاهرة–مصر: دار الكتاب العربي.

ابن مالك، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني. (1990). *شرح تسهيل الفوائد*. القاهرة–مصر: هجر للطباعة والنشر.

ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي. (1963). *شرح المفصّل*. القاهرة–مصر: الطبعة المنيرية.

ابن–مالك. (بلا تاريخ).

أبو علي، عبد الهادي عبد النبي علي. (1990). *اتجاهات الرثاء وتطوّره في العصر العباسي الأول*. القاهرة–مصر: جامعة الأزهر.

البدويّ، أحمد أحمد عبد الله البيلي. (2005). *بلاغة القرآن*. القاهرة–مصر: نهضة مصر.

البياتيّ، ظاهر شوكت. (2001). *أدوات الإعراب*. بيروت–لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

التفتازانيّ، سعد الدين. (2013). *المطوّل*. بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية.

الجارم، علي. (2008). *جواهر البلاغة*. القاهرة–مصر: مؤسسة المعارف.

حسن، عباس. (1986). النحو الوافي. القاهرة–مصر: دار المعارف.
الحمويّ، شِهَابْ اَلدِّينْ أَبُو عَبْدِ اَللَّهْ يَاقُوتِ. (1995). *معجم البلدان*. بيروت–لبنان: دار صادر.
الخرّاط، أحمد محمد. (2012). *المجتنى من مشكل إعراب القرآن*. السعودية: مجمع الملك فهد.
الزجّاجيّ، أبو عبد الرحمن ابن إسحاق. (1984). *حروف المعاني*. بيروت–لبنان: مؤسسة الرسالة.
الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي. (1987). *الكشّاف*. بيروت–لبنان: دار الكتاب العربي.
الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي. (1999). *الجبال والأمكنة والمياه*. القاهرة–مصر: دار الفصيلة للنشر والتوزيع.
السامرائيّ، فاضل صالح. (2000). *معاني الأبنية* عمان–الأردن: دار الفكر للطباعة والنشر.
السامرائيّ، فاضل صالح. (2007). *معاني الأبنية*. عمان–الأردن: دار عمار.
السبكيّ، بهاء الدين. (2003). *عروس الأفراح*. بيروت–لبنان: المكتبة العصرية.
السكّاكيّ، يوسف بن أبي بكر. (2000). *مفتاح العلوم*. بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية.
السنّانيّ، عبد الله. (2013). *رثاء بغداد والبصرة في الشعر العباسيّ*. المدينة المنوّرة: جامعة طيبة.
سيبويه، أبو بشر عثمان بن عمرو. (1988). *الكتاب*. القاهرة–مصر: مكتبة الخانجي.
ضيف، شوقي. (2006). *الرثاء*. القاهرة–مصر: دار المعارف.
عتيق، عبد العزيز. (2006). *علم المعاني*. القاهرة–مصر: دار نهضة الآفاق العربية.
العسكريّ، أبو هلال. (1992). *الفروق اللغوية*. قم–ايران: مؤسسة النشر الإسلاميّ.
العلويّ، يحيى بن أبي زيد. (2002). *الطراز لأسرار البلاغة*. بيروت–لبنان: المكتبة العصرية.
غازي، إنعام الحق، و ناصر محمود. (1017). *المقطع الصوتي وأهميته في الكلام العربيّ*. لاهور –باكستان: جامعة بنجاب.
الفارابيّ، أبو نصر محمد. (2003). *معجم ديوان الأدب*. القاهرة–مصر: مؤسسة دار الشعب للصحافو والطباعة والنشر.
الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سلي أبو علي. (1990). *التعليقة على كتاب سيبويه*. السعودية: جامعة الملك سعود.
الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. (1967). *العين*. بغداد–العراق: مطبعة العاني.
القالي، أبو علي. (1976). *البارع في اللغة*. بغداد: مكتبة النهضة.
القاهريّ، عبد الرؤوف. (1990). *التوقيف على مهمّات التعاريف*. القاهرة–مصر: عالم الكتب.
القيروانيّ، ابن رشيق. (1981). *العمدة*. بيروت–لبنان: دار الجيل.
المبرّد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر. (1987). *المقتضب*. بيروت–لبنان: عالم الكتب.
المراديّ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ. (1992). *الجنى الداني*. بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية.
الميداني، عبد الرحمن حبنّكة. (1996). *البلاغة العربية*. دمشق: دار القلم.
النحّاس، أبو جعفر. (2011). *إعراب القرآن*. بيروت–لبنان: دار الكتب العلميّة.
هارون، محمد عبد السلام. (1964). *حول ديوان البحتري دراسة أدبية نقدية لغوية*. القاهرة–مصر: المؤسسة العربية الحديثة.
الهرويّ، علي بن محمد النحوي. (1993). *الأزهية* في علم الحروف. دمشق–سوريا: مجمع اللغة العربية بدمشق.
يوسف، حسني عبد الجليل. (2001). *أساليب الاستفهام في الشعر الجاهليّ*. القاهرة–مصر: مؤسسة المختار.

References

Abu Ali, Abdul Hadi Abdul Nabi Ali. (1990). *Trends in lamentation and its development in the first Abbasid era*. Cairo-Egypt: Al-Azhar University.
Al-Alawi, Yahya bin Abi Zaid. (2002). *Style for the secrets of rhetoric*. Beirut-Lebanon: Modern Library.
Al-Askari, Abu Hilal. (1992). *Linguistic differences*. Qom-Iran: Islamic Publishing Foundation.

Al-Badawi, Ahmed Ahmed Abdullah Al-Baili. (2005). *The eloquence of the Qur'an*. Cairo-Egypt: Nahdet Misr.
Al-Bayati, Zahir Shawkat. (2001). *Parsing tools*. Beirut-Lebanon: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.
Al-Farabi, Abu Nasr Muhammad. (2003). *Dictionary of the Diwan of Literature*. Cairo-Egypt: Dar Al-Shaab Foundation for Press, Printing and Publishing.
Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil bin Ahmad. (1967). *Eye*. Baghdad-Iraq: Al-Ani Press.
Al-Farsi, Al-Hasan bin Ahmed bin Abdul Ghaffar bin Muhammad bin Sulay Abu Ali. (1990). *Commentary on Sibawayh's book*. Saudi Arabia: King Saud University.
Al-Hamawi, Shihab Al-Din Abu Abdullah Yaqut. (1995). *Dictionary of countries*. Beirut-Lebanon: Dar Sader.
Al-Harawi, Ali bin Muhammad Al-Nahwi. (1993). *Al-Azhia in the science of letters*. Madascus-Syria: Arabic Language Academy in Damascus.
Al-Jarm, Ali. (2008). *Jewels of eloquence*. Cairo-Egypt: Al Maaref Foundation.
Al-Kharrat, Ahmed Muhammad. (2012). *What is gained from the problem of parsing the Qur'an?* Saudi Arabia: King Fahd Complex.
Al-Maidani, Abdul Rahman Habankah. (1996). *Arabic rhetoric*. Damascus: Dar Al-Qalam.
Al-Mubarrad, Muhammad bin Yazid bin Abdul-Akbar. (1987). *Laconic*. Yarut-Lebanon: World of Books.
Al-Muradi, Abu Muhammad Badr al-Din Hassan bin Qasim bin Abdullah bin Ali. (1992). *The proximal genie*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Nahhas, Abu Jaafar. (2011). *Parsing the Qur'an.* Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Qahiri, Abdul Raouf. (1990). *Focus on definitional tasks.* Cairo-Egypt: World of Books.
Al-Qali, Abu Ali. (1976). *Adept at language*. Baghdad: Al Nahda Library.
Al-Qayrawani, Ibn Rashiq. (1981). *Mayor*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Jeel.
Al-Sabki, Bahaa Al-Din. (2003). *Wedding bride*. Beirut-Lebanon: Modern Library.
Al-Sakaki, Yusuf bin Abi Bakr. (2000). *The key to science*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Samarrai, Fadel Saleh. (2000). *Amman*-Jordan: Dar Al-Fikr for Printing and Publishing.
Al-Samarrai, Fadel Saleh. (2007). *Meanings of buildings*. Amman-Jordan: Dar Ammar.
Al-Sanani, Abdullah. (2013). *Elegies for Baghdad and Basra in Abbasid poetry*. Medina: Taibah University.
Al-Taftazani, Saad Al-Din. (2013). *Verbose*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Al-Zajjaji, Abu Abd al-Rahman Ibn Ishaq. (1984). *Letters of meanings*. Beirut-Lebanon: Al-Resala Foundation.
Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar bin Muhammad bin Omar Al-Khawarizmi. (1987). *Scout*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar bin Muhammad bin Omar Al-Khawarizmi. (1999). *Mountains, places and water*. Cairo-Egypt: Dar Al-Fasila for Publishing and Distribution.
Ateeq, Abdul Aziz. (2006). *Semantics*. Cairo-Egypt: Dar Nahdat al-Afaq al-Arabiyyah.
ein Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi. (1979). *Beirut-Lebanon*: Dar Al-Fikr.
Ghazi, Inam Al-Haq, and Nasser Mahmoud. (1017). *The phonetic syllable and its importance in Arabic speech*. Lahore-Pakistan: University of the Punjab.
Guest, Shawqi. (2006). *Lamentations*. Cairo-Egypt: Dar Al-Maaref.
Haroun, Muhammad Abdel Salam. (1964). *About Diwan Al-Buhturi, a critical literary and linguistic study*. Cairo-Egypt: Modern Arab Foundation.
Hassan, Abbas. (1986). *Adequate grammar*. Cairo-Egypt: Dar Al-Maaref.
His master's son, Abu Al-Hassan Ali bin Ismail. (2000). *The hermetic and the greatest ocean*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
Ibn al-Atheer, Diya al-Din Nasrallah bin Muhammad. (1956). *Great Mosque*. Baghdad-Iraq: Al-Ani Press.
Ibn al-Atheer, Izz al-Din Abi al-Hasan Ali bin Abi al-Karam Muhammad bin Muhammad. (1997). *Complete in history*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
Ibn Al-Atheer, Nasrallah bin Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim Al-Shaibani. (1981). *The walking proverb*. Cairo-Egypt: Dar Nahdet Misr.

Ibn al-Sarraj, Abu Bakr Muhammad bin al-Sari bin Sahl. (1987). *Principles in grammar*. Beirut-Lebanon: Al-Resala Foundation.

Ibn Darstawayh, Abu Muhammad Abdullah bin Jaafar. (1998). *Correction of Al-Fasih and his explanations*. Cairo-Egypt: Supreme Council for Scientific Affairs.

Ibn Faris, Abu Al-Hussein Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi. (1997). *Al-Sahbi in the jurisprudence of the language and the Sunnahs of the Arabs in their speech*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Ibn Faris, Abu Al-HussIbn Duraid, Abu Bakr Muhammad bin Al-Hasan bin Duraid bin Atahiya. (1987). *Language population*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Ilm Lil-Malayin.

Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman bin Jinni Al-Mawsili. (1985). *The secret of the parsing industry*. Damascus-Syria: Dar Al-Qalam.

Ibn Jinni, Abu Al-Fath Othman bin Jinni Al-Mawsili. (1990). *Lama in Arabic. Kuwait: House of Cultural Books*.

Ibn Kathir, Imad al-Din Abu al-Fida Ismail bin Omar. (1988). *The beginning and the end*. Beirut: Dar Revival of Arab Heritage.

Ibn Malik, Muhammad bin Abdullah bin Malik Al-Tai Al-Jiani. (1967). *Explanation of interest facilitation*. Cairo-Egypt: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Ibn Malik, Muhammad bin Abdullah bin Malik Al-Tai Al-Jiani. (1990). *Explanation of interest facilitation*. Cairo-Egypt: Hajar Printing and Publishing.

Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaybah Al-Dinawari. (1996). *Germs.* Damascus-Syria: Ministry of Culture.

Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim. (1963). *Writer's literature*. Cairo-Egypt: Commercial Library.

Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim. (1978). *Strange Quran*. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Ibn Yaish, Muwaffaq al-Din Abu al-Baqa Yaish bin Ali. (1963). *Detailed explanation*. Cairo-Egypt: Al-Muniriya Edition.

Ibn-Malik. (no date).

Sibawayh, Abu Bishr Othman bin Amr. (1988). *the book*. Cairo-Egypt: Al-Khanji Library.

Youssef, Hosni Abdel Jalil. (2001). *Interrogative methods in pre-Islamic poetry*. Cairo-Egypt: Al-Mukhtar Foundation.